الآفاق

مجلة أسبوعية تهتم بشؤون الحوزات العلمية

• السنة الرابعة • الـ ١٦٢ • الإثنين • ٢ ربيع الثاني ١٤٤٨ هـ.ق • ١٤ سبتمبر ٢٠٢٦ م • ٤ صفحات • ٢٠٠٠٠ ريال

أولويات الحوزة في عالم متغير
العلم، والبصيرة، والحضور المجتمعي، والتفاعل مع التحولات العالمية، ركائز المرحلة التي رسمها آية الله الأعرافي للحوزات العلمية ①

الحوزة العلمية في قم؛ قرن من التحول من الفقه التقليدي إلى التعليم البيني
بمناسبة بداية العام الدراسي الجديد للحوزات العلمية في إيران ⑬

عَنْ أبي جَعْفَر عليه السلام قالَ:

«عَلَيكُم بِالوَرَعِ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيءٌ اَحَبَّ إلَى اللهِ تَعالى مِنَ الوَرَعِ وَعِفَّةِ بَطْنٍ وَفَرْجٍ.»

مستدرك وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٢٦٥

كلمة رئيس التحرير

الحوزات العلميّة... من صيانة التراث إلى قيادة الوعي في المستقبل

لا يمثّل افتتاح العام الدراسي الجديد في الحوزات العلميّة مجرّد انطلاقة مرحلةٍ تعليميّة جديدة، بل يشكّل فرصةً لإعادة قراءة رسالة الحوزة التاريخيّة وتجديد العهد بالمبادئ التي قامت عليها هذه المؤسسة العلميّة والدينيّة العريقة. فقد كانت الحوزات العلميّة على امتداد تاريخها مراكز لإنتاج المعرفة الدينيّة، وتربية العلماء، وصيانة معارف أهل البيت عليهم السلام، غير أنّ التحوّلات المتسارعة التي يشهدها العالم اليوم تفرض عليها مسؤوليات أوسع وآفاقاً جديدة.

إنّ الحوزة العلميّة لا يمكن أن تحصر دورها في إطار التعليم التقليدي للعلوم الدينيّة فحسب، بل ينبغي لها أن تنطلق من رصيدها العلمي والروحي الكبير لتجيب عن الحاجات الفكريّة والثقافيّة والاجتماعيّة للإنسان المعاصر. فرسالة ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ التي تمثّل جوهر هوية الحوزة، تتطلّب عالماً يمتلك، إلى جانب العلم العميق، وعياً بالزمان، وقدرةً على فهم التحوّلات العالميّة، ومهارةً في التواصل مع الأجيال الجديدة ومخاطبتها.

ومن أهمّ مقتضيات المرحلة الراهنة إعداد علماء يجمعون بين التخصّص العلمي والشموليّة المعرفيّة؛ علماء يمتلكون عمقاً في الفقه والأصول وسائر العلوم الإسلاميّة، إلى جانب وعيٍ بالقضايا المستجدّة، ومعرفةٍ بالتيارات الفكريّة المعاصرة، وقدرةٍ على الحوار مع مختلف البيئات الثقافيّة. فقد أثبتت تجارب أعلام الحوزة عبر التاريخ أنّ التأثير العلمي والاجتماعي لا يتحقّق إلاّ من خلال الجمع بين رسوخ التخصّص واتّساع الأفق.

كما أنّ الاستفادة الواعية من التقنيات الحديثة، وفي مقدّمتها الذكاء الاصطناعي، وتعزيز الحضور الإعلامي والاجتماعي للحوزة، أصبحا من الضرورات التي تفرضها طبيعة العصر. فالحوزة مطالبة بالحفاظ على أصالتها العلميّة ومنهجها الاجتهادي، مع توظيف الأدوات الحديثة في نشر معارف الدين والإجابة عن الأسئلة الجديدة.

إنّ مطلع العام الدراسي الجديد يمثّل دعوةً للأساتذة والطلاب إلى تجديد العهد العلمي والروحي، والاستعداد لأداء دور أكبر؛ دورٍ يجعل الحوزات العلميّة ليست حارسةً لتراث الماضي فحسب، بل منارةً فكريةً وروحيّة تهدي الإنسان المعاصر في مسيرته نحو المستقبل.

أولويات الحوزة في عالم متغير

العلم، والبصيرة، والحضور المجتمعي، والتفاعل مع التحولات العالمية، ركائز المرحلة التي رسمها آية الله الأعرافي للحوزات العلمية

إعداد وتحرير: الآفاق استنادًا إلى تقرير وكالة الحوزة- لم تكن كلمة آية الله الشيخ عليرضا الأعرافي في افتتاح العام الدراسي الجديد للحوزات العلمية مجرد خطابٍ بالمناسبة، بل جاءت بمثابة وثيقةٍ ترسم معالم المرحلة المقبلة، وتحدد أولويات الحوزة ورسالتها في ظل التحولات المتسارعة التي يشهدها العالم الإسلامي والمشهد الدولي.

وقد انطلقت هذه الرؤية من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾، الذي عدّه سماحته الميثاق الجامع لهوية الحوزة العلمية ورسالتها. فالدعوة إلى الله، كما أكد، ليست مجرد نشاط تبليغي، بل هي المشروع الذي قامت عليه الحوزات العلمية عبر تاريخها، واستمر في مدرسة أهل البيت عليهم السلام ثم في مسيرة العلماء والفقهاء جيلاً بعد جيل. ومن هنا دعا أساتذة الحوزة وطلابها إلى تجديد العهد بأن يكونوا مصاديق عملية لقوله تعالى: ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾، وأن يجعلوا البصيرة والعلم أساس كل حركة علمية وثقافية واجتماعية.

وأكد مدير الحوزات العلمية أن المرحلة الراهنة تفرض على الحوزة أن تتجاوز النظرة المحلية أو الإقليمية، لأن رسالتها ذات أفق عالمي، ولأن أنظاراً كثيرة في العالم تتطلع اليوم إلى الحوزات العلمية بوصفها مرجعاً علمياً وفكرياً قادراً على تقديم الرؤية الإسلامية تجاه التحديات المعاصرة. ومن هذا المنطلق شدد على ضرورة قراءة المتغيرات الدولية، وفهم احتياجات المجتمعات، واستيعاب التحولات الفكرية والثقافية، حتى تتمكن الحوزة من أداء رسالتها التاريخية في بيان معارف الإسلام ونشرها.

وفي هذا السياق، أوضح سماحته أن وظيفة الحوزة لا تقتصر على تدريس العلوم الشرعية، وإنما تتمثل في بناء المعرفة الدينية القادرة على الحضور في الواقع، وتحويل العلم إلى مشروع للهداية والإصلاح، بما يجعل الحوزة شريكاً فاعلاً في معالجة قضايا الإنسان والمجتمع، لا مؤسسةً تعليميةً منعزلة عن هموم العصر.

ورأى أن الحفاظ على المكانة العلمية للحوزة يظل أولوية لا يمكن التفريط بها، مؤكداً أن القوة العلمية والفقهية والفكرية هي رأس مال الحوزة الحقيقي، وأن صيانة هذا الرصيد وتطويره تمثل أساس قدرتها على الإجابة عن الأسئلة المستجدة ومواجهة التحديات الفكرية والثقافية. كما دعا إلى العناية المتوازنة بالبناء الأخلاقي والروحي، ليظل العلم مقترناً بالتزكية، كما جرى عليه تراث الحوزات العلمية عبر القرون.

وفي إطار تفعيل الحضور المجتمعي للحوزة، شدد آية الله الأعرافي على أهمية تعزيز التواصل مع مختلف شرائح المجتمع، ولا سيما الشباب والجامعيين، مؤكداً أن الحوزة مطالبة بأن تكون قريبة من الناس، واعيةً بتحولاتهم الفكرية والاجتماعية، وقادرة على مخاطبتهم بلغة العصر دون أن تتخلى عن أصالتها العلمية.

ومن أبرز ما تضمنته الكلمة، التأكيد على أن التطور التقني لم يعد قضية هامشية في العمل الحوزوي. فقد دعا سماحته إلى الإفادة الواعية من التقنيات الحديثة، وفي مقدمتها الذكاء الاصطناعي، معتبراً أن المطلوب ليس الانبهار بهذه الأدوات ولا رفضها، بل توظيفها توظيفاً رشيداً في مجالات التعليم والبحث العلمي والتبليغ والتواصل، مع الحفاظ على المنهج الاجتهادي الأصيل الذي يميز المدرسة العلمية للحوزة.

وفي الوقت نفسه، وضع «الجهاد التبييني» في صدارة المسؤوليات الفكرية للحوزة، مؤكداً أن بيان حقائق الإسلام، والإجابة عن الشبهات، وتقديم الرواية الموثوقة للأحداث، لم يعد عملاً موسمياً، بل أصبح مسؤولية مستمرة تفرضها طبيعة المرحلة، وتحتاج إلى حضور علمي وإعلامي واعٍ ومؤثر.

وتعكس هذه المحاور مجتمعة رؤية متكاملة للحوزة العلمية؛ رؤية تقوم على الجمع بين الأصالة والتجديد، وبين العمق العلمي والانفتاح على العالم، وبين المحافظة على التراث والاستفادة من الوسائل الحديثة. وهي رؤية تجعل من الحوزة مؤسسةً عالمية الرسالة، قادرة على التفاعل مع متغيرات العصر، والإسهام في بناء الوعي الإسلامي، وترسيخ قيم الدين في واقع الإنسان المعاصر.

وبذلك، بدت كلمة آية الله الأعرافي أقرب إلى إعلان أولويات استراتيجية للمرحلة المقبلة، منها إلى خطاب افتتاحي تقليدي، إذ رسمت للحوزات العلمية معالم مشروعٍ يقوم على العالمية، والرصانة العلمية، والبصيرة، والحضور المجتمعي، والاستفادة من التقنيات الحديثة، بما يعزز قدرتها على أداء رسالتها الحضارية في عالم يشهد تحولات متسارعة وتحديات متزايدة.

الحوزات العلمية أمام مرحلة جديدة من المسؤولية العالمية

آية الله المروي: إعداد علماء يمتلكون الشمولية العلمية ضرورةٌ للإجابة عن أسئلة العالم الإسلامي

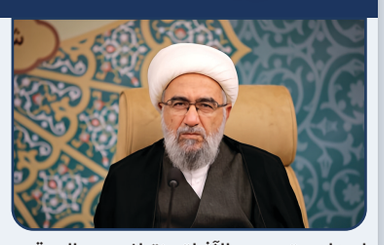

إعداد وتحرير: الآفاق نقلا عن الموقع الرسميّ لجماعة العلماء والمدرّسين في حوزة العلميّة بقم المقدسة - أكّد آية الله جواد المروي، الأمين الثاني للمجلس الأعلى للحوزات العلميّة الإيرانيّة، أنّ المرحلة الراهنة تفرض على الحوزات العلميّة مراجعةً جادّةً لمنظومتها التعليميّة، بما يضمن إعداد كوادر علميّة قادرة على مواكبة التحوّلات المتسارعة والاستجابة لمتطلّبات الواقع الفكريّ الجديد في العالم الإسلامي.

وجاء ذلك خلال الاجتماع الثالث عشر لمديري الحوزات العلميّة في المحافظات، حيث أوضح أنّ الموضوعات المطروحة في الاجتماع، وفي مقدّمتها تقويم النظام التعليمي، وتطوير أساليب التدريس، وإصلاح نظام التقييم، والاهتمام بالدراسات المستقبليّة، ووضع السياسات الكفيلة بتطوير الحوزة، إلى جانب بحث دورها في مرحلة الحرب وما بعدها، تمثّل جميعها ملفاتٍ أساسيّة تستحقّ الدراسة المتخصّصة والمتابعة المستمرّة.

وانتقل آية الله المروي إلى الحديث عن المتغيّرات التي يشهدها العالم الإسلامي، مستندًا إلى خبرته الطويلة في التواصل مع الجامعات والنخب العلميّة في مختلف البلدان، مؤكّدًا أنّ الأجواء التي تشكّلت بعد التطوّرات الأخيرة أوجدت اهتمامًا غير مسبوق بالتعرّف إلى الثورة الإسلاميّة ومذهب التشيّع. ورأى أنّ هذا الواقع يضاعف مسؤوليّة الحوزات العلميّة، التي ينبغي أن تستعدّ للإجابة عن الكمّ الكبير من الأسئلة والشبهات والطلبات الفكريّة الصادرة عن نخب العالم الإسلامي.

ولبيان طبيعة هذا التحوّل، استعرض نموذجًا من حواره مع أستاذ جامعي مغربي، أبدى رغبته في اعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام، موضّحًا أنّه نصحه بأن يكون اختياره قائمًا على الدراسة والبرهان لا على العاطفة، قبل أن تنقل زوجة الأستاذ أنّهما أمضيا أشهرًا في دراسة التشيّع حتى وصلا إلى قناعة راسخة به. كما أشار إلى أنّ لقاءاته مع عدد من الشخصيّات والنخب الأجنبيّة بعد مراسم تشييع القائد الشهيد أكّدت أنّ الاهتمام بالتشيّع والثورة الإسلاميّة يشهد اتّساعًا ملحوظًا في أوساط النخب الإسلاميّة.

وفي ضوء هذه المعطيات، شدّد آية اللّه المروي على ضرورة أن تعيد الحوزات العلميّة تخطيط برامجها لإعداد طلاب يمتلكون الشموليّة العلميّة إلى جانب التخصّص، لأنّ من يتصدّى للتعريف بمذهب أهل البيت عليهم السلام والثورة الإسلاميّة يحتاج إلى ثقافة واسعة تؤهّله للحوار والإقناع. وأكّد أنّ التخصّص لا يتعارض مع هذه الشموليّة، داعيًا إلى توجيه نخبة من فضلاء الحوزة منذ المراحل الأولى من الدراسة نحو اكتسابها، معربًا عن ثقته بوجود طاقات شبابيّة واعدة قادرة على أداء هذا الدور متى توفّرت لها الرعاية العلميّة المناسبة.

ولتعزيز هذه الرؤية، استشهد بسيرة عدد من أعلام الحوزة، وفي مقدّمتهم آية اللّه العظمى السيد أبو القاسم الخوئي رحمه الله، الذي جمع بين التخصّص في الفقه والأصول وسعة الاطلاع على الأدب العربي، معتبرًا أنّ الشخصيّات المؤثّرة في تاريخ التشيّع كانت تتميّز دائمًا بالشموليّة العلميّة والفكريّة، لا بالانحصار في حقلٍ معرفي واحد.

كما قدّم القائد الشهيد للثورة الإسلاميّة نموذجًا معاصرًا لهذه الشموليّة، مشيرًا إلى اتّساع معارفه في الفقه والأصول والكلام والتفسير والأدب العربي، وإلى أثر ذلك في حضوره الفكري في العالم الإسلامي. واستشهد بحوارات أجراها مع أساتذة من جامعتي بغداد وعين شمس، أكّدوا فيها أنّ اطّلاعهم على شخصية القائد الشهيد وخطابه الفكري كان من الأسباب التي دفعتهم إلى دراسة التشيّع والتعرّف إلى معارفه.

وفي ختام كلمته، جدّد آية اللّه المروي التأكيد على ضرورة اكتشاف الطلّاب الموهوبين في الحوزات العلميّة منذ المراحل الأولى، وتوجيههم نحو الجمع بين التخصّص والشموليّة العلميّة، مؤكّدًا أنّ هذه الطاقات قادرة على أن تصبح شخصيّات مؤثّرة في العالم الإسلامي وفي خدمة مذهب التشيّع إذا أُحسن إعدادها وتأهيلها منذ بداية مسيرتها العلميّة.

الكاظمية المقدسة تحتفي بإضافة علمية جديدة إلى مسيرتها الحوزوية العريقة

العتبة الكاظمية المقدسة- من جوار صحن الإمامين الجوادين عليهما السلام، شهد مدينة الكاظمية المقدسة، مراسم افتتاح مدرسة آية الله العظمى الشيخ محمد حسين الكاظمي دام ظله للعلوم الحوزوية، بالتزامن مع ذكرى ولادة النبي الأكرم محمد، وحفيده الإمام جعفر الصادق "صلوات الله عليهم أجمعين"، وبحضور أمناء ووفود العتبات المقدسة والمزارات الشيعية الشريفة، ونخبة من العلماء الأعلام وأساتذة الحوزة العلمية وطلبة العلوم الدينية.

وجاء تشييد هذا الصرح العلمي بأمر المرجع الديني الأعلى سماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني "دام ظله الوارف"، ليشكّل إضافة نوعية إلى المشهد العلمي والمعرفي في مدينة الكاظمية المقدسة، وإسهاماً في تعزيز مسيرتها الحوزوية العريقة، التي اضطلعت على مدى قرون باحتضان العلوم الدينية، ورعاية مسيرة طلبة العلم، ونشر معارف أهل البيت عليهم السلام. وشهدت مراسم الافتتاح إلقاء عدد من الكلمات التي استعرضت الأهمية العلمية والتاريخية لهذا المشروع، وما يمثله من امتداد أصيل للحركة العلمية في الكاظمية المقدسة، التي عُرفت عبر تاريخها الحافل باستقطاب العلماء والفقهاء والمحققين، واحتضان المدارس العلمية، واعتماد المناهج الدراسية الرصينة والمعمقة التي أسهمت في ترسيخ علوم آل محمد عليهم السلام، وإعداد أجيال من طلبة العلوم الدينية.

وأكدت الكلمات أن افتتاح المدرسة يمثل محطة جديدة في مسيرة خدمة العلم والمعرفة، ورافداً مهماً للحركة الحوزوية، فضلاً عن كونه صرحاً دينياً وعلمياً يُضاف إلى سجل المشاريع التي تسهم في ترسيخ مكانة الكاظمية المقدسة بوصفها حاضرة علمية وفكرية بارزة، ومركزاً من مراكز الإشعاع المعرفي والفكري في العالم الإسلامي.

ويأتي افتتاح مدرسة آية الله العظمى الشيخ محمد حسين الكاظمي دام ظله تأكيداً على عمق الإرث العلمي الذي تختزنه مدينة الكاظمية المقدسة، واستمراراً لمسيرتها في خدمة العلوم الدينية وتعزيز حضورها العلمي، بما ينسجم مع مكانتها التاريخية ودورها في رفد الساحة الإسلامية بالعلماء وطلبة العلم والمعرفة.

سيماء الصالحين

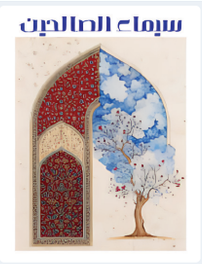

ذكر الشيخ الموحدي أن المرجع الراحل السيد البروجردي ﷺ بسبب كثرة اشتغاله في تصديه للمرجعية وإدارة شؤون الأمة كان أحياناً يتأخر دقائق عن موعد الدرس، حيث الطلبة العلماء كانوا ينتظرونه لإلقاء دروسه في الفقه الإسلامي الاستدلالي، المعروف في الحوزات العلمية بـ (بحث الخارج). فمرة من المرات زاد تأخره بدقائق أكثر مما كان يتأخر عادة. فلما وصل السيد، اعترض عليه أحد الطلبة من العلماء بلطف وقال: «إن أوقات الطلبة تضيع هكذا!» فقال له السيد البروجردي: «لماذا تضيّعون أوقاتكم، أنا حفظت اثني عشر جزءاً من القرآن الكريم في أوقات الانتظار. أنتم كذلك لا تجلسوا عاطلين، بل استفيدوا من دقائق الانتظار لحفظ الآيات القرآنية.»

المصدر: قصص وخواطر من أخلاقيات علماء الدين، ص ٩٠

كلمات للحياة

وقوله: (وَمَنْ جاهَدَ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ) المجاهدة والجهاد مبالغة من الجهد بمعنى بذل الطاقة ، وفيه تنبيه لهم أن مجاهدتهم في الله بلزوم الإيمان والصبر على المكاره دونه ليست مما يعود نفعه إلى الله سبحانه حتى لا يهمهم ويلغو بالنسبة إليهم أنفسهم بل إنما يعود نفعه إليهم أنفسهم لغناه تعالى عن العالمين فعليهم أن يلزموا الإيمان ويصبروا على المكاره دونه.

الميزان في تفسير القرآن، ج ١٦، ص ١٠٣

صدر حديثا

صدر عن مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث كتاب "حوار هادئ مع الملحدين" للدكتور نصير ثجيل داود الذي حاول من خلاله محاورة الفكر الإلحادي بنمط علمي تحليلي هادئ، يتماشى مع معطيات العقل والمنطق السليم.

إن فكرة الإلحاد قديمة قدم البحث عن الإيمان والألوهية، ولها أسباب ومناشئ نفسية كالشكوك الوجودية والقلق الوجودي، وتربوية كغياب القدوة، وفلسفية كالتأثر بالنماذج المادية، واجتماعية كالصراع مع الموروث الديني وغيرها. ومع تطور العلم واكتشاف جوانب متعددة ترتبط بالطبيعة، وكيفية تكونها، وتكون ما فيها من أنواع ومظاهر مختلفة، واجه الإنسان عدة أسئلة ترتبط بأصل الكون وعلته، ومنشأ وجود الأنواع، وتشكل الظواهر الطبيعية؛ إذ قدمت دراسات عدة جنحت بأصحابها نحو الإلحاد، وإنكار وجود المبدأ الأول والغاية وراء النظام الكوني.

وفي هذا الكتاب يسعى الكاتب إلى مناقشة أفكار الملحدين بأسلوب علمي هادئ، محاولاً تحليل مدى توافقها مع العقل والمنطق السليم، وتقديم رؤى ومعالجات لها، كما يعتمد على الحجج العقلية والنقلية، ويركز على إبراز التناقضات الداخلية في الفكر الإلحادي، ويستعرض الأدلة على وجود الخالق من خلال التأمل في آيات الكون والنفس.

تعريف بكتاب

يُعد كتاب «الشيعة في الميزان» للشيخ محمد جواد مغنية عرضاً موضوعياً لعقائد الشيعة الاثني عشرية، مُفنِّداً الشبهات المثارة ضدهم بأسلوب علمي رصين. يرتكز الكتاب على الكتاب والسنة لإثبات أصالة المعتقد الشيعي، مُصحِّحاً مفاهيم مغلوطة كالتقية وتحريف القرآن ومصحف فاطمة. كما يدافع عن مشروعية الإمامة والمهدوية بشواهد من كبار علماء السنة. يتسم الكتاب بنهجٍ توحيدي يرفض التعصب، ويسعى لتقريب وجهات النظر، مبرزاً الدور الحضاري للشيعة في تاريخ الإسلام.

مقال

ازدواجية المعايير الدولية

لماذا يُحاكم الإسلام بجرائم الأفراد وتُعفى المسيحية من تاريخ الدول؟

حيدر حسين سويري

ازدواجية المعايير بين الدين والسياسة

من يتأمل خارطة التاريخ الحديث والمعاصر، يقف أمام مفارقة صارخة. كما يكتشف ازدواجية المعايير في العدالة الفكرية والإعلامية اليوم. فحين ترتكب دول كبرى جرائم يندى لها الجبين، يفصل الخطاب الغربي الدين عن السياسة. لكن حين يرتكب أفراد أو جماعات معزولة أفعالاً باسم الإسلام، يُحاكم الدين كله. ومن هنا، تظهر المفارقة في أبشع صورها. فالإسلام يُتهم بالظلامية والإرهاب، بينما تُفصل المسيحية عن تاريخ الدول التي انتسبت إليها ثقافياً.

التاريخ المسيحي للدول الغربية ومبدأ الفصل

إذا نظرنا إلى الدول التي قادت النظام العالمي، نجد إرثاً مسيحياً عميقاً. وتشمل هذه الدول أمريكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا وإيطاليا. لقد صنعت هذه الدول جراحاً كبرى عبر القرون الماضية. كما قادت حروباً عالمية، واستعمرت شعوباً آمنة، ونهبت ثروات قارات بأكملها. وتشمل الحصيلة التاريخية مجازر وإبادات جماعية واسعة. كما تشمل نهب موارد أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية عبر مراحل طويلة. ومع كل هذا الدمار التاريخي، لم يتهم أحد الدين المسيحي بهذه الفظائع. كما لم يحمّل أحد السيد المسيح ﷺ مسؤولية تلك الجرائم. فقد أدرك الوعي الجمعي أن هذه السياسات نتجت عن أطماع استعمارية. كما نتجت عن صراعات جيوسياسية ورأسمالية جشعة. ولذلك، لم يربط كثيرون تلك الجرائم بتعاليم الإنجيل. بل فصلوا، بوضوح، بين الدين وبين ممارسات الدول والجيوش والسياسيين.

لماذا يُحاكم الإسلام بذنب جماعاته؟

هنا تكمن المفارقة العجيبة في التعامل مع الإسلام. فعندما تظهر جماعة متطرفة تدعي الإسلام، تقوم الدنيا ولا تقعد. وغالباً ما تنشأ هذه الجماعات داخل ظروف سياسية معقدة أو استخباراتية. ومع ذلك، يُحمّل الإسلام كله نتائج أفعالها. فيُختزل دين يضم أكثر من ملياري إنسان في تصرفات تنظيم أو جماعة. ثم تبدأ حملات إعلامية واسعة لتشويه العقيدة الإسلامية. كما تُشن حملات ممنهجة لشيطنة الإسلام واتهامه بأبشع الصور. ويُطلب من المسلمين حول العالم الاعتذار اليومي عن أفعال لا يقرّها دينهم. وهذا التناقض يكشف أن الهدف لا يقف عند محاربة الإرهاب نفسه. بل يستخدم الإسلاموفوبيا أداة سياسية لترهيب الشعوب وتبرير التدخلات العسكرية.

الإسلاموفوبيا كأداة سياسية

لا تبدو ازدواجية المعايير هنا مجرد خطأ في القراءة أو التحليل. بل تتحول إلى آلية سياسية وإعلامية لإدارة الخوف العالمي. فحين يحتاج الخطاب الغربي إلى صناعة عدو ثقافي، يستدعي صورة الإسلام المتطرف. ثم يضع مليارين من البشر داخل صورة نمطية واحدة. وفي المقابل، لا يسمح الخطاب نفسه بربط جرائم الدول الغربية بالمسيحية. بل يعتبر هذا الربط تعميماً ظالماً ومخالفاً للمنطق. لذلك، يصبح السؤال أخلاقياً وسياسياً في الوقت نفسه: لماذا نرفض تعميم جرائم الدول على المسيحية، ثم نقبل تعميم جرائم الأفراد على الإسلام؟

الملف النووي وقمة التناقض

تتجلى هذه الازدواجية بأوضح صورها في ملف السلاح النووي بالشرق الأوسط. فالمعيار المعلن يتحدث عن أمن البشرية، لكن التطبيق يكشف شيئاً آخر.

إن الخوف المزعوم من احتمال استخدام إيران للسلاح النووي يكشف خللاً واضحاً. فإيران لا تمتلك هذا السلاح، ومع ذلك تواجه تهديداً دائماً. وفي الوقت نفسه، يجري غض الطرف عن الكيان الذي يمتلك السلاح النووي فعلاً. كما يحظى هذا الكيان بالدعم والحماية رغم جرائمه اليومية. أما الولايات المتحدة، التي تقود حملة الشيطنة، فهي تمتلك مفارقة أخطر. فقد كانت الدولة الوحيدة في التاريخ التي استخدمت القنابل النووية ضد البشر. وقد أبادت مدناً كاملة في هيروشيما وناجازاكي.

لذلك لا يبدو المعيار الحقيقي هو أمن البشرية، بل أمن المصالح الغربية وأدواتها.

أمن المصالح لا أمن البشرية

تكشف هذه المقارنة أن الحديث عن الأمن الدولي ليس بريئاً دائماً. فالغرب لا يتعامل مع الخطر بحسب حجمه، بل بحسب موقعه السياسي. فحين يمتلك الحليف السلاح، يتحول الصمت إلى سياسة. وحين يُتهم الخصم بالسعي إليه، تتحول الشبهة إلى حصار وتهديد وحرب إعلامية. ومن هنا، تتأكد ازدواجية المعايير مرة أخرى. فالملف النووي لا يُدار بمنطق العدالة الدولية، بل بمنطق الهيمنة والمصلحة. وهذا ما يجعل حملة التخويف من إيران جزءاً من منظومة أوسع. فهي لا تفصل عن صناعة العدو المحتمل، ولا عن حماية العدو الفعلي.

بقي شيء

إن صناعة العدو المحتمل والشيطنة الدينية ليست سوى غطاء لجرائم العدو الفعلي. كما أنها وسيلة لإخفاء إرهاب الدول خلف لغة الأمن الدولي. لقد آن الأوان للوعي الإنساني أن يتحرر من تزييف الإعلام الغربي. كما يجب أن يدرك أن الأديان بريئة من أطماع السياسيين. فليست المشكلة في الأديان، بل في القوى التي تستخدم السياسة والحرب والإعلام. كما تكمن المشكلة في دول تملك القوة وتفتقر إلى الأخلاق. وفي المحصلة، الإرهاب الحقيقي ليس دائماً فعل جماعة معزولة. بل قد يكون إرهاب دول تملك الجيوش والترسانات وتفرض روايتها على العالم. لذلك، لا يمكن مواجهة الظلم من دون كسر ازدواجية المعايير. ولا يمكن تحقيق العدالة الفكرية ما دام الإسلام يحاكم بجرائم الأفراد، وتُعفى المسيحية من تاريخ الدول.

المصدر: مركز دراسات الشهيد الخامس الشهيد السيد محمد باقر الصدر

الطرف	الواقع النووي	الموقف الدولي	المفارقة
الكيان الغاصب. إسرائيل	يمتلك ترسانة نووية فعلية وغير خاضعة للرقابة	صمت مطبق ودعم مطلق ومباركة	محتل ويمارس أبشع الجرائم يومياً
إيران	لا تمتلك قنبلة نووية وتخضع لرقابة مشددة	حصار وتهديد بالحرب وشيطنة مستمرة	لم تستخدم أي سلاح نووي
الولايات المتحدة	تمتلك أضخم ترسانة نووية في العالم	تدعي حماية السلم العالمي	الوحيدة التي أبادت مدناً كاملة بالقنابل النووية

مقال

جهاد العلماء في حفظ التراث

حيدر حسين سويري

صفحاتٌ قارعت الزمن، عانقت الألم، ولوعةُ الصّبر بادية في طيّاتها. في سطورها الظاهرة عبارات كانت قد شهدَت الظلم والقهر والنفي والسجن والحرمان. اليوم تقلّبها راحَةُ اليد الواحدة، وجليسها ينعمُ هانئاً بنور هَديها، لا يشعر بما مرّ عليها من مِحن وعناء، فسِرُّها يكمُن خلف السطور بين أنامل أيادٍ بايعت الله بجهادٍ من نوع آخر، كانت ثماره حفظ تراث أئمّة الإسلام ﷺ.

في هذا المقال نعرض لقرّائنا الأعزّاء بعضاً من جهاد العلماء في جمع التراث المكتوب المنقول عن أئمتنا ﷺ.

* حَفِظ المخطوطات بالصوم والصلاة

لم تشغله شقوة الشباب عن تحمّل المسؤوليّة وتكبُّد العناء في سبيل الحصول على ما ضيّعته يد الاحتلال البريطانيّ من الكتب القيّمة والمخطوطات الجليلة، هو السيّد المرعشي النجفي. كثيرةٌ هي المرّات التي ألغى فيها وجبةً من وجبات طعامه اليوميّ، عمل في مطاحن الأرزّ ليلاً، وصلّى وصام فيها نيابةً عن الأموات ليجمع كميّةً من المال يشتري بها الكتب المهمَّة، والمخطوطات النادرة. بداية، تظنّ أنّ الأمر مبالَغٌ فيه إلى حدّ ما، ولكن تفاجئك الصفحات الأولى من بعض الكتب التي حوتها مكتبته حيث كُتب عليها: "اشتريت هذا المخطوط بثلاث سنوات قضاء صلاة عن والد صاحب المخطوط"، أو "اشتريت هذا المخطوط بقضاء أربعة أشهر صوم نيابةً عن والد صاحب المخطوط"، أو "اشتريت هذا المخطوط بزيارة أمير المؤمنين عليّ ﷺ لمدّة سنة كاملة نيابةً عن صاحبه". كم عانى من أجل الحفاظ على تراثنا الإسلاميّ! إنّه جهاد فريد حقّاً، أورثنا مكتبة تضمّ الآن ٣١ ألف مخطوط، من أقدمها نسخة بالخطّ الكوفي للقرآن الكريم سنة ١٠٠١م - ٤٢٣هـ.

أوصى السيّد المرعشي أن يُدفن في مدخل المكتبة لتطأه أقدام زوّارها وطَلبة العلم.. وتمّ هذا بالفعل لكن، واحتراماً لمقامه، بُني عليه شبّاك صغير.

* قلم الليل الفريد

سَلْ ظُلمة الليل عن عزيزها "الفقيه المتتبّع" الذي ما كلّت يُمناه من كَثرة الكتابة، حتى إنَّه عدَّها عبادة، هو السيد محمد جواد الحسيني العاملي ﷺ صاحب كتاب "مفتاح الكرامة". يظهر في جملة من مصنّفاته أنَّهُ فرغ منها في منتصف الليل، وبعضها في السّحر، وفي بعضها ليلة القدر أو ليلة الفطر، حتّى إنَّهُ أيّام محاصَرة الوهّابيّين للنجف الأشرف، لمْ يفتُر عن التأليف والتدريس، معَ اشتغاله معَ العلماء بأمور الجهاد، ومباشرة الحصار، وتهيئة أسباب الدفاع، والطّواف ليلاً على الحرّاس والمحاربين. فقد صنّف يومئذٍ رسالةً في وجوب الذَبِّ عن النجف الأشرف، كما صنَّف جملةً من مجلّدات مفتاح الكرامة، وفرغ منها في تلكَ الحال، كمجلّد الضمان والشّفعة والوكالة، وكان في السبعين من عمره الشريف.

ناهيك عمّا نقلته ابنته حيث قالت: "كان والدي لا ينام من الليل إلّا أقلّه، ولا أعلمُ أنّني استيقظتُ ليلًا فوجدتُه نائماً، وكان سبطه الشّيخ رضا بن زين العابدين العامليّ معه في داره مدّةً، فكان إذا فرغ من مطالعة أبحاثه ينام، ويبقى جدُّه [أي السيّد محمد جواد] مشغولاً بشغله، فيلتفت إليه ويقول: ما هذا التعشُّق للنوم، أنا يكفيني منه هكذا، ويضع رأسه بين ركبتيه وينام، ثُمَّ لا يكاد يلتذّ بالنوم حتّى يستيقظ ويرجع إلى شغله.

* جهاد حكاه نتاجهم

كتبوا في عهدٍ ليس فيه سوى الحبر والورق، فلا حواسيب ولا طابعات. حبرهم خالط الدم والصّبر على الأذى، وعتمة الليل تشهد.

١- العلّامة الأمينيّ: ترك البحث والتدريس، وأغلق على نفسه باب التردّد على الأندية والمجتمعات، وجلس في داره معتكفاً في مكتبته الخاصّة، متفرّغاً للجهاد في هذا الميدان الديني المقدّس، محتّماً على نفسه الكتابة والمطالعة ستّ عشرة ساعةً في الليل والنهار. وعلى إثر هذه الخطوة المجهدة والعمل المُضني لم تكن حياته المباركة إلّا عَناء، فقد أمضى نصف قرن من عمره في التأليف، ومن مؤلّفاته سِفره "الغدير" (أحد عشر مجلّداً).

وقد أخذ العلّامة طريقه إلى مكتبات النجف، وراح يقضي بها جلّ نهاره، ويستنسخ منها الكتب، ثمّ يقوم بتنظيمها في مكتبته الخاصّة، غير مكترث بالعوامل الزمنيّة من حرٍّ أو برد. دار بين المكتبات المعروفة في العراق (حوالي ٢٠ مكتبة) بحثاً عن المصادر المهمّة والمخطوطات العريقة، حيث أخذ يقرؤها قراءة تحقيقيّة، وينسخها بخطّه. يُنقل أنّ إحدى المكتبات التي تردّد إليها كانت بالقرب من إحدى الحسينيّات التي يقصدها الناس للتعزية وأداء المراسم والشعائر الدينيّة، فلم يرَ بدّاً سوى الذهاب إليها ليلاً للاستفادة من كنوزها، فيبقى فيها طوال الليل ساهراً على المطالعة والاستنساخ، ولا يعلم بالوقت إلّا حين يُفتح له الباب لأداء فريضة الصبح، ثم يعود إلى الدار حيث يعمل في مكتبته الخاصّة.

ولم يتوقّف ﷺ عند مكتبات العراق فحسب، بل جالَ البلاد بحثاً عن المصادر والمخطوطات العريقة، كالهند وتركيا وسوريا، ولكنّ المرض العضال الذي ألمّ به أرداه.

٢- الشيخ محمد باقر المجلسيّ (١٠٣٧هـ- ١١١١هـ) صاحب "كتاب بحار الأنوار". كتب أكثر من مئة كتاب باللغة الفارسيّة والعربيّة خلال ٧٤ سنة من عمره المبارك، وإنّ كتاب "بحار الأنوار" هو أحد أبرز مؤلّفاته المشهورة ويضم ١١٠ مجلدات، وله كتاب آخر هو "مرآة العقول" يضمّ ٢٦ مجلداً.

٣- الشيخ محمّد بن مكّي العامليّ الجزينيّ "الشهيد الأول" (٧٣٤ هـ- ٧٨٦هـ) شغلته الصلاة وآدابها المعنويّة فسوَّرها كي لا تطالها أيدي المسرفين، فجمع ألف حُكم من أحكام الصلاة الواجبة في كتاب أسماه "الألفيّة"، وجمع مستحبّاتها في كتاب أسماه "النفليّة".

ولمّا كانت حاجة أهل خراسان إلى مرجع فقهيّ قد بَدَت، كتب ﷺ كتابه المشهور "اللُّمعة الدمشقيّة في فقه الإماميّة" في أيّام لم تتعدّ السبعة، وما زال كتابهُ هذا يُدرَّس في كلّ حوزاتنا مع شرحه لتلميذه الشيخ زين الدين بن علي بن أحمد العامليّ "الشهيد الثاني" ﷺ، وما ذلك إلّا لخصائص عديدة توفّرت في هذه الإشراقة الحميدة.

٤- الشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان الحارثيّ المذحجي (٣٣٨هـ -٤١٣هـ) (المعروف بالشيخ المفيد)، أحصى له السيّد الأمين قرابة مائتي كتاب ورسالة في الفقه والكلام والحديث. عندما تجالس الفقهاء سترى الشيخ المفيد ﷺ حاضراً في مجلسهم وكأنّه من المعاصرين، أو أنّه فقيه قد رحل منذ زمن ليس ببعيد، وتسيطر عليك الحيرة عندما تعلم أنّه من فقهاء القرن الرابع الهجريّ، أجل، لقد عبر الزمن، فلا حدود لزمانه.

كثر هم العلماء الذين تكفّلوا بكتابة ونقل تراث آل محمد ﷺ، منهم من أبدته الآثار الغزيرة، ومنهم من أخفى ذكرهم الزمن، ربّما ليبقى في السماء.

المصدر: بقية الله

علماء و أعلام

الميرزا أبوالقاسم الموسوي الزنجاني ﷺ

مولده ونسبه

الميرزا أبو القاسم الموسوي الزنجاني (١٢٢٢-١٢٩٢هـ) ابن الميرزا كاظم، من علماء الشيعة في القرن الثالث عشر الهجري في العصر القاجاري.

دراسته وأساتذته

مع أن السيد أبا القاسم لم يتجاوز العاشرة من عمره حين وفاة والده، إلا أنه مع هذا الصغر أقبل بجدٍّ واجتهاد على طلب العلوم، وبعد فترة قام بالتتلمذ على يد الحاج ملا عبد الوهاب القزويني في قزوين، فنال منه إجازة الاجتهاد وعاد إلى زنجان. ثم واصل تحصيله فتوجّه إلى أصفهان، وحضر دروس الحاج السيد محمد باقر الشفتي والحاج محمد إبراهيم الكلباسي، واستفاد منهما. أقام الميرزا في أصفهان ثماني سنوات يدرس، حتى أواخر عام ١٢٥٤هـ (أي في منتصف عهد ناصر الدين شاه القاجاري)، وبعد أن حصل على إجازات الاجتهاد من شيوخه هناك، عاد إلى زنجان.

نشاطاته

عندما وصل الميرزا أبو القاسم إلى زنجان، كانت الأوضاع مضطربة بسبب فتنة البابية وخروج الملا محمد علي نامي الذي تمرد على الحكومة المركزية. وبعد وصوله واطلاعه على الحال، ورغم تعقيد الأمور، تصدى لتلك الفرقة وما أثاره من فوضى، ومنع القتل والنهب، وسعى بإرشاده ووعظه إلى ردّ الجهلة عن طريق الضلال، وبذل جهوداً كبيرة في هذا الأمر الخطير. وبفضل إجراءاته، وبعد وصول القوات الحكومية، فرّ المخالفون والمعاندون وعمّ الأمن.

مؤلفاته

من أجل تنوير أذهان الناس وإفهامهم وإخماد فتنة البابية، شرع ميرزا في تأليف كتب في الردّ على البابية، كان لكل منها أثر كبير في استئصال تلك الفتنة في زنجان وإيران. ومن تلك الكتب: ردّ الباب، قلع الباب، قمع الباب، مقاليد الأبواب، سدّ الباب، وتخريب الباب.

وقد خلّف كتباً كثيرة، بخطّه أو بإملائه، في مختلف العلوم، مما يدلّ على إحاطته بالعلوم الإسلامية؛ منها: هداية المتقين، حجة الأبرار، ونار الله الموقدة (في مصائب أهل البيت ﷺ).

إضافة إلى تأليف أكثر من خمسين مجلّداً، توجد بين تصانيفه ترجمات عن مؤلفات أجنبية، مما يشهد بإتقانه إحدى اللغات الأجنبية وإحاطته بالعلوم القديمة والحديثة.

وفاته

توفي السيد أبو القاسم الزنجاني يوم الاثنين الثالث من جمادى الأولى سنة ١٢٩٢هـ.

المصدر: ويكي فقه

ومضات

تمهيد

يُعدّ الشهيد السيد محمدباقر الصدر واحدًا من أبرز الشخصيات العلمية والفكرية في التاريخ المعاصر، فقد استطاع خلال عمره القصير أن يقدّم مشروعًا معرفيًّا متكاملًا جمع بين عمق التأصيل الإسلامي والانفتاح على قضايا العصر، وأسهم في بلورة رؤية إسلامية أصيلة في مجالات الفكر والثقافة والاقتصاد والسياسة والاجتماع.

بما أن فكر الشهيد السيد محمد باقر الصدر ليس تراثًا يُقرأ للماضي فحسب، بل هو مشروع حيّ يفتح آفاقًا جديدة لفهم الدين والإنسان والمجتمع، في هذا العمود نقتطف في كل عدد ومضةً من كلماته المختارة، لنستعيد بها عمق رؤيته وثراء منهجه، ونقدّم للقارئ مفاتيح موجزة تضيء جانبًا من مشروعه الفكري والحضاري. وسيواصل هذا العمود في الأعداد المقبلة تقديم مختارات من كلماته، لتكون نافذةً مستمرة على فكر أحد أبرز المجددين في الفكر الإسلامي المعاصر والتعريف بإسهاماته الفكرية، واستلهام رؤاه في معالجة قضايا الحاضر.

الومضة (١)

التّوحيد هو جوهر العقيدة الإسلاميّة. وبالتّوحيد يحرّر الإسلام الإنسان من عبوديّة غير الله (لا إله إلّا الله) ويرفض كلّ أشكال الألوهيّة المزيّفة على مرّ التاريخ، وهذا هو تحرير الإنسان من داخل، ثم يقرّر كنتيجة طبيعيّة لذلك تحرير الثّروة والكون من أيّ مالك سوى الله تعالى، وهذا هو تحرير الإنسان من خارج.

المصدر: صورة عن اقتصاد المجتمع الإسلاميّ ص: ٤-٥

التفكير النقدي

مقدمة

التفكير النقدي؛ مهارةُ الفهمِ العميق وبناءِ الوعي

في عالمٍ تتسارع فيه حركةُ المعلومات، وتتعدّد فيه مصادرُ المعرفة، وتنتشر فيه الآراءُ والأفكار بصورةٍ غير مسبوقة، أصبح امتلاكُ القدرة على التفكير السليم والتحليل الواعي من أهمّ مهارات الإنسان المعاصر. فليس كلّ ما يُتداول من أفكار أو أخبار أو تحليلات جديراً بالقبول، كما أنّ رفض الأفكار لا يكون موقفاً علميّاً ما لم يستند إلى منهجٍ واضح ومعاييرَ دقيقة.

والتفكيرُ النقدي ليس دعوةً إلى الشكّ الدائم أو رفض ما يقدّمه الآخرون، بل هو قدرةٌ عقلية تقوم على الفهم العميق، وتحليل المعلومات، وتمييز الحجج، وتقويم الآراء قبل تبنّيها أو رفضها. إنّه انتقالٌ بالعقل من مجرّد تلقّي الأفكار إلى فحصها، ومن الانفعال بالمواقف إلى بناء الأحكام على أساس الدليل والبرهان.

وقد عرفت الحضاراتُ العلميّة المختلفة أشكالاً متعدّدة من هذا الانضباط العقلي، حيث قامت علومٌ كثيرة على التحقّق والنظر والموازنة بين الأدلة، ومن ذلك ما نجده في مناهج البحث في العلوم الإسلاميّة، كالفقه والحديث والتفسير، التي اعتمدت قواعد دقيقة لفهم النصوص وتمييز الصحيح من غيره.

وانطلاقاً من أهمية هذه المهارة في تشكيل الوعي الفردي والجماعي، تقدّم «الآفاق» في هذه الزاوية سلسلةً معرفيّة حول التفكير النقدي، تسعى إلى التعريف بمفاهيمه الأساسية ومهاراته العملية، وتقديم نماذج تطبيقية تساعد القارئ على تنمية قدرته على التحليل والفهم واتخاذ المواقف الواعية.

وتتكوّن هذه السلسلة من **ستّة فصول رئيسة**، يضمّ كلّ فصلٍ منها مجموعةً من الموضوعات المتنوّعة، تبدأ من الأسس الأولى للتفكير النقدي، وتنتقل تدريجيّاً إلى مهاراته المتقدّمة وتطبيقاته في مجالات الحياة والمعرفة المختلفة.

الفصل الأوّل: الأسس-لماذا وكيف نفكّر؟

العدد الأوّل: لماذا ينخدع حتى أذكى الناس؟

منذ سنواتٍ طويلة، يُطرح في الأوساط العلميّة سؤالٌ مهمّ: لماذا يعجز بعض الأشخاص الأذكياء والمتعلمين أحياناً عن اكتشاف أبسط المغالطات، فيقعون ضحيةَ إعلانٍ ناقص أو إشاعةٍ لا تستند إلى أساس؟

إنّ الجواب يكمن في جانبٍ لا يحظى غالباً بالاهتمام الكافي؛ فالذكاء هو القدرة على حلّ المشكلات، أمّا التفكير النقدي فهو القدرة على **تقييم المشكلة قبل الشروع في حلّها**. وهذان أمران مختلفان.

يعرّف ريتشارد بول ولينـدا إلدر، وهما من مؤسّسي«**مؤسّسة التفكير النقدي**»، التفكيرَ النقدي في مؤلفاتهما المتعدّدة بأنّه ليس موهبةً فطرية، بل مهارةٌ يمكن تعليمها وتطويرها من خلال التدرّب على معرفة عناصر الاستدلال والالتزام بمعايير التفكير السليم. وبعبارةٍ أبسط: إنّ العقل الإنساني يفكّر بصورة تلقائيّة، غير أنّ هذا التفكير التلقائي ليس بالضرورة منظّماً أو دقيقاً أو منصفاً؛ ولذلك يحتاج إلى توجيهٍ وضبط.

ومن الأمثلة المألوفة في مجال علومنا الإنسانيّة: أنّ علمَ الرجال والدراية، الذي يُستخدم في الحوزات العلميّة الشيعيّة للتحقّق من حجّية الروايات من خلال دراسة أحوال الرواة، لا يقبل أبداً اعتمادَ روايةٍ لمجرّد «شهرتها» أو «قِدمها»، من دون فحص سلسلة السند والتحقّق من وثاقة الرواة. وهذه المنهجيّة العقليّة المنضبطة ـ التي مارسها علماء الرجال قبل قرون من شيوع مصطلح «التفكير النقدي» في الغرب ـ تمثّل نموذجاً أصيلاً لتجنّب التسليم الساذج بالادعاءات. إنّ التفكير النقدي ليس مرادفاً للتشاؤم؛ فالمتشائم هو من قرّر مسبقاً ألّا يصدّق شيئاً، أمّا المفكّر النقدي فهو الذي يسأل قبل القبول أو الرفض: «**ما الدليل على هذا الادعاء؟ وهل هذا الدليل كافٍ؟**»

تدريب هذا العدد:

خلال يومٍ واحد، كلّما صدّقت خبراً أو منشوراً أو إشاعةً، اسأل نفسك: لماذا صدّقت هذا الأمر؟ هل كان السبب مجرّد أنّ المصدر بدا «موثوقاً» بالنسبة إليّ، أم أنّني تحقّقت فعلاً من وجود دليلٍ وشاهد؟

الخلاصة:

الذكاء من دون انضباطٍ فكري لا يشكّل ضمانةً للابتعاد عن الخطأ؛ فالتفكير النقدي يعني الاستخدام المنهجي للعقل، لا مجرّد امتلاك عقلٍ قوي.

السؤال: ما هو الشيء الإيجابي الذي قدّمته الأديان للبشرية؟

أسئلة الورود

السؤال: ما هو الشيء الإيجابيّ الذي قدّمته الأديان للبشريّة؟

الجواب:

يفترض هذا السؤال أحياناً أنّ الأديان لم تقدّم للبشرية شيئاً ذا قيمة، غير أنّ هذه الدعوى لا تنسجم مع حقيقة التاريخ؛ فحتى غير المؤمن بالدين لا يستطيع إنكار أن الأديان كانت من أبرز القوى التي أسهمت في تشكيل الضمير الأخلاقي، وترسيخ مفاهيم المسؤولية، والأسرة، والتكافل الاجتماعي، ومعنى الحياة لدى ملايين البشر.

إنّ أعظم ما قدّمه الدين للإنسان هو أنّه منحه رؤيةً متكاملةً للوجود، تقوم على التوحيد والإيمان بأنّ الكون ليس نتيجة عبثٍ أو صدفة عمياء، وأنّ الإنسان ليس مجرّد كائن مادي ينتهي وجوده بالموت، بل مخلوق له غاية ومسؤولية ومصير. قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾. فالعلم يجيب عن كثير من الأسئلة المتعلّقة بكيفية عمل الكون والإنسان، لكنه لا يجيب بذاته عن الأسئلة الكبرى: لماذا وُجد الكون؟ وما الغاية من وجود الإنسان؟ ومن هنا يمنح الإيمان الإنسان إطاراً يفسّر معنى الحياة، ويجعل وجوده مرتبطاً بخالق حكيم وهدفٍ أعلى من المصالح المؤقتة.

ومن هذه الرؤية تنبثق منظومة الأخلاق؛ فالعدل في المنظور الديني ليس مجرّد اتفاق اجتماعي قابل للتغيير بحسب قوة الأطراف ومصالحها، بل قيمة ثابتة لها أساس متعالٍ. كما أنّ كرامة الإنسان ليست منحةً تمنحها سلطة أو مجتمع، بل هي أصل ثابت لأنّ الله كرّم بني آدم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾. كما أعطى الدين للعدالة امتداداً يتجاوز حدود الحياة الدنيا؛ فالإيمان بالآخرة يقدّم جواباً عن مشكلة المظالم التي لا تجد طريقها إلى الإنصاف في هذه الحياة، ويؤكد أنّ أعمال الإنسان لا تضيع: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾. ومن هنا اكتسبت التضحية والصبر والثبات على الحق معنى يتجاوز الربح والخسارة العاجلة.

ولم تبقَ هذه الرؤية في إطار الأفكار المجرّدة، بل تحوّلت إلى منظومة اجتماعية تدعو إلى رعاية الفقراء والأيتام، وتعزيز التكافل، وحفظ الأسرة، والوفاء بالعهد، وتحريم الظلم والخيانة وأكل أموال الناس بالباطل. كما دعا القرآن إلى العدل حتى مع المخالفين: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾.

وقد أسهمت الأديان عبر التاريخ في بناء مؤسسات التعليم والرعاية والأوقاف وخدمة المجتمع. ولا يعني ذلك أنّ جميع أتباع الأديان كانوا دائماً ملتزمين بهذه القيم؛ فقد وقعت أخطاء وجرائم باسم الدين، كما وقعت باسم القومية والسياسة والمصالح الاقتصادية. لكن سوء تطبيق الفكرة لا يلغي قيمة الفكرة نفسها، كما أنّ جرائم بعض أتباع أي مبدأ لا تكفي للحكم على المبدأ ذاته.

إنّ الإنصاف يقتضي ألّا ننسب إلى الدين أخطاء أتباعه ونحرمَه من آثارهم الإيجابية؛ فكما أنّ انحراف بعض المتدينين لا يمثّل جوهر الدين، فإنّ أعمال الخير التي يقوم بها المؤمنون كثيراً ما تكون ثمرةً مباشرةً لقيم دينية غرست فيهم معنى الرحمة والمسؤولية والتضحية.

وخلاصة القول: إنّ أعظم ما قدّمه الدين للبشرية أنّه منح الإنسان تفسيراً لوجوده، وجعل للكون معنى، وللحياة غاية، وللأخلاق أساساً يتجاوز الأهواء والمصالح. ومن هذه الرؤية نشأت مفاهيم الكرامة والعدل والرحمة والتكافل وضبط القوة والشهوة والمصلحة، ليعيش الإنسان بوصفه كائناً مسؤولاً أمام الله وأمام نفسه والآخرين.

المصدر: مركز الرصد العقائدي (باختصار)

لماذا تعرض العديد من أصحاب الفضائل، كابن سينا، لاتهامات بالكفر؟

مقتطفات

إن الضيق المذهبي يُعد من السمات الجوهرية للخوارج، وهو سلوك نلمس تجلياته مجدداً في المجتمع الإسلامي اليوم. وكما ذكرنا سابقاً، فإن "شعار" الخوارج قد اندثر وزال، إلا أن "روحهم" لا تزال حاضرة لدى بعض الأفراد؛ هؤلاء الذين افتقروا إلى الفهم العميق لروح الثقافة الإسلامية رغم ما اتسموا به من جسارة.

وبسبب جهلهم وضيق أفقهم، سارعوا إلى التكفير والتبديع، حتى توهموا أن الإسلام والمسلمية حكرٌ عليهم وحدهم، فوصموا سائر المسلمين الذين لا يتبنون أصول عقائدهم بالكفر. ونظراً لشجاعتهم، كانوا غالباً ما يتوجهون نحو أصحاب السلطة، ظانّين أنهم بذلك يمارسون "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، فكان مصيرهم القتل. لقد أشرنا سابقاً إلى أن سمات الجمود والجهل والتعسف (التنسك) والتقديس المفرط والضيق المذهبي قد استمرت في العصور اللاحقة، إلا أن قيم الشجاعة والبسالة والتضحية قد تلاشت. وبذلك تحول "الخوارج" إلى "مقدسين جبناء"؛ فوضعوا السيف جانباً، وتخلوا عن ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تجاه أصحاب السلطة خشية الخطر، واستبدلوا السيف بلسانٍ حادٍ ينهش أعراض أصحاب الفضائل.

لقد صبّوا جام اتهاماتهم على كل ذي علمٍ وفضلٍ بطرائق شتى، حتى بات من النادر في التاريخ الإسلامي أن تعثر على عَلَمٍ من أعلام الفكر لم يكن هدفاً لسهام التشهير التي أطلقتها هذه الطبقة. فقد اتهموا هذا بإنكار الإله، وذاك بإنكار المعاد، وثالثاً بإنكار المعراج الجسماني، ورابعاً بالصوفية، وخامساً بغير ذلك، وهلم جراً؛ حتى إنه لو اتخذنا أحكام هؤلاء السفهاء ميزاناً، لما وجدنا في التاريخ عالماً مسلماً حقيقياً واحداً.

وحينما يُكفّر الإمام علي ؟ع؟، فإن المصير يصبح جلياً للآخرين. ومن الذين تجرعوا من هذا الكأس: ابن سينا، والخواجة نصير الدين الطوسي، وصدر المتألهين الشيرازي، والفيض الكاشاني، وسيد جمال الدين الأسدآبادي، وصولاً إلى محمد إقبال الباكستاني في العصر الحديث.

المصدر: الأستاذ مطهري، "جاذبة ودافعة علي (ع)"، ص ١٣٩ - ١٤١.

"موافقان و مخالفان عرفان در حوزهٔ علمیهٔ قم" (المؤيدون والمعارضون للعرفان في الحوزة العلمية بقم)

ناقدة على المقالات

(المؤيدون والمعارضون للعرفان في الحوزة العلمية بقم)، للباحث محمود شيخ، الأستاذ المساعد بقسم الأديان والعرفان في جامعة طهران، منشور في مجلة "أديان و عرفان" (Religions and Mysticism)، السنة الثالثة والخمسون، العدد الثاني، خريف وشتاء ٢٠٢٠-٢٠٢١م، ص٣٣٩-٣٥٩.

موضوع المقال

يتناول البحث ظاهرة الصراع الفكري بين مؤيدي التوجه العرفاني ومعارضيه داخل الحوزة العلمية في مدينة قم، منذ تأسيسها على يد الشيخ عبد الكريم الحائري وحتى الوقت الراهن. ينطلق الباحث من التمييز بين نوعين من التجاذب في تاريخ هذه الحوزة: تجاذب سياسي-اجتماعي حول العلاقة بالحكم، وتجاذب معرفي-علمي حول مكانة العرفان والحكمة في المنظومة الدينية، وهو الأخير موضوع الدراسة.

سؤال البحث وإشكاليته

يسعى المقال إلى الإجابة عن سؤال مركزي: ما الذي نتج عن هذا الصراع التاريخي بين أنصار العرفان ومعارضيه في قم من حيث تأثيره المعرفي؟ وكيف أثّرت ضغوط المعارضين على خطاب المؤيدين وصاغت ملامحه؟ ويحصر الباحث بحثه في البعد المعرفي فقط، متجنبًا الدخول في الأبعاد الاجتماعية والسياسية لهذا النزاع، بوصفه فجوة بحثية لم تُدرس سابقًا بمنظور شامل (كلي) بدل التركيز على سِيَر شخصيات بعينها.

منهج الدراسة

اعتمد الباحث منهجًا تحليليًا تاريخيًا يتتبع نشأة التيار العرفاني في قم عبر أجياله المتعاقبة (من ميرزا جواد ملكي تبريزي وميرزا محمد علي شاه‌آبادي وصولاً إلى العلامة الطباطبائي والإمام الخميني ثم تلامذتهما)، ويقابله بمواقف أبرز معارضيه (كمدرسة التفكيك الخراسانية وآيات الله كصافي كلبايكاني ومكارم شيرازي)، مستندًا إلى مؤلفات الفريقين وفتاواهم ونصوصهم المنشورة.

أبرز الأفكار والنتائج

يبيّن الباحث أن التوجه العرفاني في قم نشأ من امتزاج مدرسة الحكمة في طهران مع طريقة "الأخلاقيين" النجفية، وأنه يقوم على فكرة محورية هي "وحدة مصادر المعرفة" بين القرآن والبرهان والعرفان، وهي فكرة تعود جذورها إلى صدر المتألهين وما بعده. ومع ذلك، يميّز مؤيدو هذا التيار أنفسهم بحذر عن "التصوف" بمعناه المؤسساتي (الخانقاهي والطرقي)، فيقبلون العرفان النظري والعملي بوصفه امتدادًا لتعاليم أئمة أهل البيت ﷺ، بينما يرفضون الشعائر والتراتبية الصوفية الشكلية - وهذا ما يفسر تفضيلهم مصطلح "عرفان" على "تصوف". في المقابل، يستند المعارضون (وأبرزهم مدرسة التفكيك) إلى رفض أي مصدر معرفي غير القرآن والمعصوم، معتبرين "التأويل" مدخلاً لدس الفكر البشري في الحقيقة الإلهية، ويذهب بعضهم (كآية الله وحيد خراساني) إلى تسفيه أعمال كبار العرفاء كابن عربي وملا صدرا. ويرصد الباحث ظاهرة ثالثة طارئة: تيار "العرفان الناب" (الخالص) الذي يسعى للتمييز بين عرفان أصيل نقي وعرفان "ملوّث" بشوائب تاريخية، مستلهمًا نماذج سابقة كالفيض الكاشاني، ويستخدم مصطلحات كـ"العرفان الوحياني" و"عرفان أهل البيت".

القيمة العلمية

تكمن الأهمية الرئيسة للبحث في تقديمه أول قراءة شاملة (لا جزئية) لخريطة الصراع العرفاني داخل حوزة قم عبر قرن كامل، وفي كشفه عن الآليات الخطابية التي استخدمها المؤيدون لحماية أنفسهم من تهمة التصوف (كالتمييز اللغوي بين "عارف" و"صوفي")، وعن الأثر التكويني الذي تركته ضغوط المعارضين على صياغة خطاب المؤيدين أنفسهم.

تقييم تحريري

يمتاز البحث بحياده المعلن ومحاولته الجادة لوصف موضوعي غير منحاز لأي من الطرفين، وبتوثيقه الغني بأقوال الطرفين المتنازعين مباشرة. غير أن اقتصاره على قم دون توسيع المقارنة مع مراكز حوزوية أخرى (مشهد، أصفهان) يبقيه محدود النطاق جغرافيًا كما يعترف المؤلف نفسه. يفيد المقال الباحثين في علم الكلام الشيعي المعاصر والدارسين لتاريخ الحوزات العلمية وعلاقة التصوف بالتشيع الإمامي.

الإسرائيليات

مصطلح الأسبوع

تُطلق **الإسرائيليات** في علوم القرآن والتفسير والحديث على الأخبار والروايات التي دخلت بعض المصادر الإسلامية، ولا سيّما كتب التفسير والتاريخ وقصص الأنبياء، وكانت منقولة عن مصادر أهل الكتاب، وبالأخص اليهود والنصارى. وسُمّيت بذلك نسبةً إلى «إسرائيل»، وهو لقب النبي يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ، ثم توسّع استعمال المصطلح ليشمل مختلف الأخبار الوافدة من تراث الأمم السابقة.

وقد ظهرت الإسرائيليات في التراث الإسلامي بسبب اهتمام بعض المفسرين والمؤرخين بمعرفة تفاصيل القصص والأحداث التي لم يذكرها القرآن الكريم بصورة مفصّلة، فانتقلت بعض الأخبار عن أهل الكتاب إلى عدد من المصنفات الإسلامية. غير أنّ العلماء لم يقبلوها جميعاً، بل أخضعوها للتمحيص والنقد، انطلاقاً من ضرورة عرضها على القرآن الكريم، والسنّة المعتبرة، والأصول القطعية في العقيدة والشريعة.

ويقسّم علماء التفسير الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام رئيسة:

الأول: ما ثبتت صحته أو وافق ما جاء في القرآن الكريم والسنّة، فيُذكر للاستئناس والاستفادة.

الثاني: ما ثبت بطلانه أو خالف المبادئ الإسلامية والحقائق القطعية، فيُرفض ولا يُعتدّ به.

الثالث: ما لم يثبت صدقه ولا كذبه، وهو ما يُتوقف فيه؛ فلا يُصدَّق ولا يُكذَّب.

وقد اهتم علماء المسلمين، ومنهم علماء الإمامية، بدراسة الإسرائيليات والتنبيه إلى ضرورة التعامل النقدي معها؛ لأن دخول بعض الأخبار غير الموثوقة في كتب التفسير والتاريخ قد يؤدي إلى نسبة أمور لا أصل لها إلى الأنبياء أو الشخصيات المقدسة.

ومن هنا تمثل دراسة الإسرائيليات جانباً مهماً من جوانب المنهج النقدي في العلوم الإسلامية، إذ تؤكد أهمية التحقيق في مصادر الروايات وتمييز الصحيح من الدخيل، حفاظاً على نقاء المعرفة الدينية وأصالتها.

قَبَسٌ مِن نور

قبس من نور

حين يكشف حرفٌ بابًا من التدبر

د. أحمد باقر الطويل

كم مرة مررنا على آيةٍ من القرآن ونحن نظن أننا فهمناها من أول قراءة؟ وكم مرة كانت كلمةٌ واحدة، أو حرفٌ واحد، كافيًا لأن يفتح أمامنا معنى لم نكن نلتفت إليه؟

فالقرآن لا يختار ألفاظه اعتباطًا، ولا ينتقل من صيغةٍ إلى أخرى من غير حكمة. وكلما توقف الإنسان عند طريقة القرآن في التعبير، لا عند المعنى العام فقط، انفتح له بابٌ جديد من التدبر.

ومن الآيات التي تستوقف المتأمل قوله تعالى بعد ذكر قوم لوط وأصحاب الأيكة: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٨) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ (٧٩)﴾، (الحجر: ٧٨–٧٩).

وهنا يبرز سؤال صغير في ظاهره، لكنه يفتح معنى واسعًا: لماذا بدأ السياق بالجمع: ﴿أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾، ثم قال: ﴿مِنْهُمْ﴾، ثم انتقل فجأة إلى المثنى:﴿وَإِنَّهُمَا﴾؟

إذا كان الحديث عن أصحاب الأيكة، فلماذا لم يقل: "وإنهم"؟

هنا يبدأ التدبر.

فالقرآن يدعونا ألا نقرأ ما يقوله فقط، بل أن نتأمل كيف يقوله. وقد ذهب عددٌ من المفسرين في توجيه هذا الضمير إلى أن الحديث انتقل من القوم إلى ديارهم؛ أي إلى ديار قوم لوط وأصحاب الأيكة، فهذان الموضعان كانا على طريقٍ ظاهرٍ معروف، يمر به الناس ويشاهدون آثارهما.

وكأن المشهد ينتقل من قومٍ هلكوا إلى آثارٍ بقيت بعدهم.

رحل الظالمون، لكن بقيت ديارهم شاهدةً على ما صنعوا.

وهنا يصبح المكان نفسه رسالة. فالإنسان قد لا يرى أصحاب الأيكة، ولا يرى قوم لوط، لكنه يستطيع أن يرى آثارهم، فيقرأ في تلك الآثار درسًا لا يقل أثرًا عن قراءة الكلمات.

ثم تأتي العبارة الأكثر إثارة للتأمل: ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾.

لماذا قال القرآن: "بإمام"؟

الإمام في الاستعمال القرآني أوسع من أن يكون مجرد شخصٍ يتقدّم الناس؛ فهو ما يُؤتمّ به ويُتّبع ويقود إلى مقصد. ولذلك وصف الله تعالى الكتاب بقوله:﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾، كما تحدث عن أئمةٍ يهدون بأمر الله، وعن أئمةٍ يدعون إلى النار.

وهنا تتسع الدلالة.

فالإمام ليس بالضرورة شخصًا فقط، بل قد يكون كل ما يتخذه الإنسان متقدمًا عليه في طريقه، ويترك له أثرًا في اتجاهه وقراراته.

ولهذا يمكن أن يصبح الطريق إمامًا إذا كان يقود الإنسان إلى غاية، ويمكن أن يصبح التاريخ إمامًا إذا أحسن الإنسان قراءته، ويمكن أن تصبح آثار الأمم إمامًا حين تقود الإنسان إلى العبرة.

فديار الأمم الهالكة ليست مجرد أماكن مرّ بها التاريخ، وإنما شواهد يمكن أن تقود من يراها إلى حقيقةٍ أكبر: أن الظلم لا يدوم، وأن السنن الإلهية لا تتغير بتغير الأزمنة والأسماء.

ومن هنا يظهر سؤالٌ أشد قربًا من حياتنا: من هو إمامك؟ وإلى أين يقودك؟

فالإنسان لا يعيش بلا ما يقوده، حتى وإن ظن أنه يعيش بلا إمام. قد يتبع عالمًا، أو فكرةً، أو رغبةً، أو هوىً، أو دنيا، أو مبدأً، وكل ما يتقدمه في مسيره ويؤثر في اتجاهه يصبح له بمنزلة الإمام.

ولهذا لم يجعل القرآن القضية: هل تتبع أم لا؟ وإنما يجعلها أيضًا: من تتبع؟ وإلى أين يقودك اتباعك؟

فقد يكون ما نتبعه هاديًا بنا إلى الحق، وقد يكون قائدًا بنا إلى الضلال.

وهنا تعود الآية إلى بدايتها، ونكتشف أن السؤال عن ضميرٍ صغير قادنا إلى سؤالٍ كبير عن طريقة قراءة القرآن، وعن معنى الاقتداء، وعن الطريق الذي يسلكه الإنسان في حياته.

وربما كان هذا هو جمال التدبر.

أن تتوقف عند كلمةٍ ظننتها عابرة، فتكتشف أنها لم تكن عابرة.

أن تسأل: لماذا قال القرآن "هما" ولم يقل "هم"؟ ولماذا قال "إمام" ولم يقل مجرد "طريق"؟ ثم تكتشف أن السؤال اللغوي قد يقودك إلى سؤالٍ عن التاريخ، والاقتداء، والهداية، وعن نفسك أنت.

فالقرآن لا يطلب منا أن نكثر من التلاوة فقط، وإنما أن نفتح عقولنا وقلوبنا لما وراء الألفاظ.

قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، (ص: ٢٩).

فقد نقرأ سورةً كاملة، ونمر على عشرات الآيات، ثم تكون كلمةٌ واحدة هي التي توقظ فينا سؤالًا لم نكن نعرف أننا نحتاجه.

ولعل هذا هو أحد أبواب القرآن التي لا تنتهي: أن كلما أعدنا النظر فيه، اكتشفنا أن وراء ما اعتدنا قراءته معنىً جديدًا ينتظر أن نتوقف عنده.

فلا تجعل قراءتك للقرآن مرورًا على الكلمات فقط.

توقف عندها.

اسأل عنها.

وتأمل لماذا اختار الله هذا اللفظ دون غيره.

فربما كان الحرف الذي مررت عليه سريعًا هو الباب الذي كان ينتظر منك أن تطرقه.

الآفاق
• السنة الرابعة
• الـ ١٦٢
• الإثنين ٢ ربيع الثاني ١٤٤٨ هـ.ق
• ٤ صفحات
Ofogh-e Hawzah Weekly
• مركز إدارة الحوزات العلمية
• المشرف: رضا رستمی
• مدير التحرير: علی‌رضا مکتب‌دار بمساعدة الهيئة التحريرية
• هاتف: ٣٢٩٠٠٥٣٨ ٢٥ ٩٨+ • فاكس: ٣٢٩٠١٥٢٣ ٢٥ ٩٨+
• ص. ب: ٣٧١٨٥/٤٣٨١
• العنوان: قم، شارع جمهوری، زقاق ٢، رقم ١٥
• الموقع: www.ofoghhawzah.ir
• البريد الالكتروني: info@ofoghhawzah.ir
• مسئول الطبع: مصطفی اویسی
• طباعة: صميم ٤٤٥٣٣٧٢٥ ٢١ ٩٨ +

حوار

مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة..
ذاكرة التراث وحاضنة المعرفة

▪ أجرى الحوار
عبد الحميد عبد الرضا علي الصافي؛ معاون مدير المكتبة بالتعاون مع الشيخ حسين حسين التميمي

الحلقة الأولى

مقدمة

الآفاق- تُمثّل مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة صرحاً علمياً شامخاً يضطلع بمسؤولية حفظ التراث الفكري والإنساني في العراق. ومنذ تأسيسها عام ١٩٦٣م، شهدت هذه المؤسسة محطات تاريخية مفصلية، وصولاً إلى مرحلة إعادة التأهيل الكبرى بعد عام ٢٠٠٦م تحت رعاية المرجعية الدينية العليا، لتتحول اليوم إلى منارةٍ معرفيةٍ متكاملة تجمع بين أصالة المخطوط وتقنيات العصر.

ولتسليط الضوء على هذه التجربة الثرية، التقت "أسبوعية الآفاق" بسماحة السيد نور الدين الموسوي، مدير مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، في حوارٍ مفصّل استعرضنا فيه مسيرة المكتبة، وما تحتويه من كنوز مخطوطة ووثائق نادرة، وجهود مراكزها المتخصصة في الفهرسة، والرقمنة، والترميم العلمي، فضلاً عن رؤيتها الطموحة لتعزيز التعاون الأكاديمي والبحثي في خدمة الباحثين والدارسين.

١. متى تأسست مكتبة ودار المخطوطات، وما الدافع العلمي الرئيس وراء تأسيسها؟

تأسست مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة عام ١٩٦٣م على يد السيد عباس الكاشاني ﷺ، وكانت تحت رعاية المرجعية الدينية آنذاك، المتمثلة بسماحة آية الله العظمى السيد محسن الطباطبائي الحكيم ﷺ، وكان اسم المكتبة: (مكتبة الإمام الحكيم العامة - فرع كربلاء).

ثم عيَّن المرجع الأعلى للشيعة آنذاك، السيد الحكيم، بعد إبعاد السيد عباس الكاشاني إلى الجمهورية الإيرانية عام ١٩٧٠م، سماحة السيد عبد الرضا الشهرستاني مكانه، والذي بقي أميناً عاماً للمكتبة لغاية عام ١٩٨٠م، حيث تم إبعاده أيضاً إلى جمهورية إيران الإسلامية.

وفي عهد السيد الشهرستاني تم سحب المخطوطات من الخزانة العباسية، وهي أكثر من (١٠٠٠) مخطوط، وإيداعها في (دار صدام للمخطوطات) من قبل جهاز الأمن البعثي، ولم تحصل مكتبتنا على هذه المخطوطات لغاية الآن.

ومنذ ذلك التاريخ أُهملت المكتبة، وأصبحت تابعة للسدانة العباسية، والتي بدورها كانت تابعة لوزارة الأوقاف العراقية.

وبعد الانتفاضة الشعبانية المباركة عام ١٩٩١م أُغلقت المكتبة العباسية تماماً، وبقيت مغلقة حتى سقوط النظام البعثي عام ٢٠٠٣م.

وبعد سقوط النظام البعثي في العراق والتحول الديمقراطي، تم تأهيل المكتبة تحت رعاية المرجعية الدينية العليا المتمثلة بسماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله الوارف)، وتم افتتاحها من جديد تزامناً مع مولد المولى أبي الفضل العباس ﷺ، يوم السابع من شهر شعبان المبارك عام ١٤٢٧هـ، الموافق لعام ٢٠٠٦م.

وأهم أهداف المكتبة هي نشر الوعي الثقافي في المجتمع، والتشجيع على القراءة من خلال توفير أجواء مناسبة للقراء والباحثين ورواد المكتبة.

٢. ما رسالتها اليوم، وما الذي تغيّر في أهدافها أو نطاق عملها مقارنة بمرحلة التأسيس؟

* رسالة المكتبة وأهدافها:

رسالة المكتبة هي: الحفاظ على التراث المعرفي، وتمكين الباحثين والرواد من التأثير الإيجابي في مجتمعهم، عبر توفير بيئة مناسبة للتعلُّم والقراءة، ومركزٍ لإنتاج المعرفة ونشرها.

أما أهداف المكتبة فهي:

١- توفير الخدمات المكتبية للطلبة والباحثين والرواد الكرام.

٢- صيانة وحفظ التراث المخطوط من خلال ترميم المخطوطات، وتصويرها، وحفظها، وتوفير وسائل سهلة للباحثين والجمهور العام للوصول إليها.

٣- إسناد القطاع التربوي والتعليمي في العراق من خلال التعاون مع الجامعات والمكتبات العراقية، وتقديم الدعم لها عبر الخدمات المكتبية.

وبالتأكيد، كانت المكتبة وقت تأسيسها، قبل أكثر من ستين عاماً، تمتلك رسالةً بسيطة نابعةً من بساطة المجتمع؛ إذ كانت الأمية منتشرة بين أفراد المجتمع العراقي، وكانت الحوزة العلمية وحدها تحمل على عاتقها مهمة التعليم من خلال الكتاتيب وتعليم القرآن الكريم في المساجد والعتبات المقدسة.

أما اليوم، فقد أصبح المجتمع العراقي متعلماً، ويحمل الكثير من أبنائه الشهادات الأكاديمية الجامعية والعليا.

لذلك، فإن رسالة المكتبة وأهدافها قد تغيَّرت عما كانت عليه في مرحلة التأسيس، فضلاً عن أن رسالة المكتبة وأهدافها في ذلك الوقت لم تصل إلينا بسبب الظروف القاسية التي كان يمر بها بلدنا العزيز إبان حكم البعث الظالم.

٣. ما حجم المقتنيات بالأرقام (عناوين/مجلدات، دوريات، مراجع)، وما أبرز الموضوعات التي تخدم الدرس الحوزوي؟

* محتويات المكتبة ومراكزها ووحداتها:

تحتوي مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة على مجموعة كبيرة من الأوعية المكتبية المتنوعة، موزعة على قاعتين كبيرتين:

الأولى: القاعة العامة، وهي تتبع النظام المفتوح، وتشمل جميع العلوم عدا علوم اللغة العربية والأدب العربي.

والثانية: قاعة كتب الأدب العربي وعلوم اللغة العربية والدوريات والمجلات المحكمة والرسائل الجامعية الورقية، وتتبع النظام المغلق؛ حيث لا يمكن للباحث اختيار المصدر الذي يحتاجه مباشرة، وإنما يحصل عليه من خلال موظف قاعة الإعارة.

وهناك قاعة ثالثة صغيرة تحتوي على الكتب ذات الطبعات القديمة والنادرة، وهي أيضاً تتبع النظام المغلق؛ حيث لا يُسمح بالحصول على هذه الكتب القديمة إلا للباحثين المتخصصين.

وفيما يلي إحصائية شاملة للأوعية المعرفية الموجودة في المكتبة:

مجموع الأوعية: ٤٠٨,١٩٢

الكتب الإلكترونية: ٦٩,٨٥٨

الرسائل والأطاريح الإلكترونية: ١١٤,٥٧٥

مجموع الكتب الورقية: ٦٥,٤٧١

كتب القاعة العامة: ٤٦,٩٣٥

كتب القاعة اللغوية: ١٦,٢٧١

الرسائل والأطاريح الورقية: ١,٥٧٤

المجلات المحكمة الورقية: ٤,٦٨١

كتب الأدب العربي: ٧,٥١٩

كتب اللغة العربية: ٢,٥١٧

الكتب القديمة والنادرة: ١,٧٨٦

إن مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة تُعد، من الناحية الإدارية، شعبةً تابعةً لقسم الشؤون الفكرية والثقافية بإدارة السيد نور الدين الموسوي، وتحتوي على أربعة مراكز وست وحدات، وهي بالتتابع:

١- مركز الفهرسة ونظم المعلومات

مدير المركز: السيد حسنين أحمد الطيف الموسوي.

ومهام المركز: فهرسة الأوعية المكتبية بكافة أشكالها، وتيسير إتاحتها للباحثين عبر برامج عالمية متطورة وفق نظام (RDA)، وقواعد (Mark٢١).

٢- مركز تصوير المخطوطات وفهرستها

مدير المركز: الأستاذ صلاح مهدي السراج.

ومهام المركز: تصوير المخطوطات وحفظها، وتسهيل وصول الباحثين إليها عبر أجهزة تصوير متطورة عالية الدقة، وظروف خزن آمنة، وبرامج فهرسة وإتاحة متطورة.

٣- مركز الفضل لصيانة وحفظ التراث المخطوط والأرشيف الوثائقي

مدير المركز: الأستاذ ليث علي حسين لطفي.

ومهام المركز: صيانة الوثائق والمخطوطات وفق أحدث الطرق العالمية، تبعاً للمدرسة التشيكية لصيانة المخطوطات، فضلاً عن الحفاظ عليها في ظروف خزن مثالية من حيث درجة الحرارة والرطوبة داخل خزانة العتبة العباسية.

٤- مركز المعلومات الرقمية

مدير المركز: الأستاذ عمار حسين الجواد.

ومهام المركز: النشر الإلكتروني للمكتبة، وإتاحة الأوعية المكتبية بصورة رقمية للباحثين.

كما تتكون المكتبة من عدة وحدات، وهي:

١- (وحدة الإعارة)، وهي المسؤولة عن قاعات المكتبة وترفيف الكتب وإتاحتها للباحثين.

٢- (وحدة التزويد)، وهي المسؤولة عن رفد المكتبة بالمصادر والأوعية المكتبية التي تحتاجها، والتعامل مع دور النشر، والتبادل الثقافي والفكري بين المكتبة والمكتبات الأخرى.

٣- (وحدة الذاتية والخدمات)، وهي المسؤولة عن الموارد البشرية الموجودة في المكتبة، وتنظيم شؤونهم المختلفة.

٤- (وحدة التأليف والدراسات)، وهي متخصصة بدراسات المولى أبي الفضل العباس ﷺ، وتنشر مؤلفات متنوعة حوله.

٥- وحدة التصحيح

وهي المسؤولة عن تصحيف وصيانة الكتب الموجودة في المكتبة والمتضررة بسبب الاستعمال.

٦- وحدة الترجمة

وهي المسؤولة عن ترجمة بعض المصادر العلمية الإنجليزية التي تحتاجها مراكز ووحدات المكتبة.

بالإضافة إلى إدارة المكتبة، والتي تشمل السيد مدير المكتبة ومعاون مدير المكتبة.

الحلقة الثانية من هذا الحوار ستكون في العدد القادم.

مقال

الحوزة العلمية في قم؛ قرن من التحول من الفقه التقليدي إلى التعليم البيني
بمناسبة بداية العام الدراسي الجديد للحوزات العلمية في إيران

رئيس التحرير

بالنسبة لكثير من طلبة العلم وأساتذة الحوزات العلمية الشيعية، ارتبط اسم الحوزة العلمية في قم أكثر من أي شيء آخر بالفقه والأصول ودرس الخارج والاجتهاد. هذه الصورة، وإن كانت قائمة على واقع لا يمكن إنكاره، لم تعد تعكس الواقع كله. فقد شهدت حوزة قم خلال القرن الماضي، من دون أن تبتعد عن هويتها الاجتهادية، تحولاً عميقاً في بنيتها التعليمية والبحثية؛ تحولاً جعلها اليوم واحدة من أوسع منظومات تعليم العلوم الإسلامية في عالم التشيع.

فإذا كان المسار العلمي للطالب في زمن مضى ينتهي تقريباً عند الفقه والأصول، فإن أمامه اليوم، إلى جانب ذلك المسار التقليدي نفسه، عشرات التخصصات ومئات الاتجاهات العلمية؛ من علوم القرآن والحديث، إلى الفلسفة والحقوق والتاريخ والإعلام والثقافة والفن والدراسات البينية. وقد جاء مشروع «شجرة التخصصات والاتجاهات في العلوم الإسلامية»، الذي أُعدّ بمشاركة أكثر من خمسمئة أستاذ حوزوي، ليصوغ هذا التحول في قالب ستة عشر حقلاً معرفياً وأكثر من أربعمئة تخصص واتجاه؛ وهو مشروع يكشف أن النظرة إلى التعليم الحوزوي دخلت مرحلة جديدة.

هذا التحول يطرح سؤالاً جدياً أمام كل ناظر من الخارج: هل ما تزال حوزة قم هي المدرسة الفقهية ذاتها التي تأسست قبل قرن، أم ينبغي اليوم النظر إليها بوصفها مؤسسة متعددة التخصصات للتعليم والبحث في العلوم الإسلامية؟ والإجابة عن هذا السؤال لا تكون ممكنة من دون معرفة تاريخ هذه الحوزة وبنيتها ومسار تحولها.

جذور تمتد إلى النجف

تأسست حوزة قم العلمية في عام ١٣٤٠ بعد الهجرة، بجهود آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي ﷺ؛ الفقيه الذي تربّى هو نفسه في حوزتَي النجف الأشرف وكربلاء المقدسة. ولذلك، لا ينبغي عدّ نشأة حوزة قم بداية تقليدية جديدة، بل امتداداً لذلك الإرث العلمي نفسه الذي تشكّل على مدى قرون في حوزات العراق.

وقد ظهر هذا الارتباط منذ السنوات الأولى. فحضور مراجع وأساتذة بارزين كانت لهم صلة علمية بحوزة النجف، جعل قم في وقت قصير تتحول إلى أحد أهم مراكز جذب طلبة العلم. وتتحدث الروايات التاريخية عن حضور أكثر من ألف طالب في السنوات الأولى لنشاط هذه الحوزة؛ وهو رقم كان في ذلك الزمن دليلاً على النمو السريع والمكانة العلمية المتنامية لها. ومع ذلك، لم تكن أهمية عمل الشيخ عبد الكريم الحائري ﷺ تنحصر في تأسيس مركز تعليمي فحسب. فما أرساه كان مؤسسة استطاعت، على مدى قرن كامل، أن تتكيف مع الظروف المتغيرة للزمن، من دون أن تفقد هويتها الاجتهادية.

من التعليم التقليدي إلى النظام التعليمي

ينبغي البحث عن التحول الأساسي لحوزة قم في طريقة تنظيم تعليمها. ففي الماضي، كان التعليم الحوزوي يقوم أساساً على العلاقة بين الأستاذ والتلميذ، وحرية اختيار الدرس، ومسار علمي واحد إلى حد ما. وما تزال هذه الطريقة محفوظة حتى اليوم في دروس الخارج وعملية الاجتهاد، لكن إلى جانبها تشكّلت بنية رسمية للتخطيط التعليمي، تتولى وضع سياساتها هيئة تُعرف بالمجلس الأعلى للحوزات العلمية.

وكانت الثمرة المهمة لهذا التوجه صياغة «شجرة التخصصات والاتجاهات في العلوم الإسلامية»؛ وهو مشروع أُعدّ بمشاركة واسعة من أساتذة الحوزة، وحاول لأول مرة تنظيم جميع المعارف الحوزوية في إطار خارطة شاملة. وبحسب هذا المشروع، صُنّفت العلوم الإسلامية في ستة عشر حقلاً معرفياً، وحُدّد لها أكثر من أربعمئة تخصص واتجاه. صحيح أن هذه التخصصات جميعها لم تدخل بعد مرحلة التنفيذ، غير أن هذه الخارطة التعليمية بحد ذاتها تكشف أن صانعي السياسة في الحوزة قد حدّدوا مستقبل التعليم في مسار التخصص.

وأهمية هذا التحول لا تكمن فقط في زيادة عدد التخصصات، بل في التغيير الذي طرأ على فلسفة التعليم نفسها. فحتى عقود قليلة مضت، كان يُنتظر من الطالب أن يحصّل معرفة عامة في جميع فروع العلوم الإسلامية، ليصل في النهاية إلى مرتبة الاجتهاد. أما اليوم، فقد أصبح تأهيل الباحث المتخصص، إلى جانب هذا المسار، أحد الأهداف الرسمية للحوزة أيضاً.

أربع خطوات نحو الاجتهاد

انعكس هذا التحول أيضاً في البنية الدراسية للحوزة. فالتعليم الرسمي في الحوزة يقوم على أربعة مستويات؛ نظام اعترفت به وزارة التعليم العالي الإيراني أيضاً، وحُدّد لكل مستوى فيه معادل جامعي. وعلى هذا الأساس، يُعدّ المستوى الأول معادلاً للدبلوم العالي، والمستوى الثاني معادلاً للبكالوريوس، والمستوى الثالث معادلاً للماجستير، والمستوى الرابع معادلاً للدكتوراه.

ويتعلم الطالب في المستوى الأول، على مدى نحو ست سنوات، الأدب العربي والمنطق والعقائد ومبادئ الفقه والأصول وغيرها من العلوم الأساسية. وهذه المرحلة هي مرحلة بناء الأسس العلمية أكثر من كونها زمن تخصص.

وفي المستوى الثاني، تدخل دروس الفقه والأصول مرحلة الاستدلال، وتحتل الفلسفة والتفسير وسائر العلوم الإسلامية مكانة أبرز. غير أن السمة المهمة لهذه المرحلة هي إتاحة إمكانية الدخول في التخصصات؛ وهي النقطة التي لا يبقى بعدها مسار جميع الطلبة واحداً.

وفي المستوى الثالث، يتابع الطالب، إلى جانب حضوره دروس الخارج، بحثاً تخصصياً في أحد فروع العلوم الإسلامية، وتنتهي هذه المرحلة بكتابة أطروحة. أما المستوى الرابع فهو مرحلة النضج العلمي والاستعداد للاجتهاد، وتقترن بكتابة رسالة علمية.

وقد يبدو هذا التقسيم، للوهلة الأولى، شبيهاً بالبنية الجامعية، لكن الفارق الأساسي هو أن جميع هذه المراحل ما تزال قائمة على محور السنّة العريقة للاجتهاد والحضور في حلقة درس كبار الأساتذة. فالبنية الجديدة لم تحل محل التقليد، بل حاولت أن تجعله أكثر انتظاماً وكفاءة.

وفي النظام التعليمي الجديد للحوزة، يبدأ التخصص منذ نهاية المستوى الأول. فالطالب، وهو يواصل مساره الأساسي في الفقه والأصول، يستطيع أن يختار أيضاً أحد الحقول التخصصية للبحث الأعمق. وهذه النقطة، ربما أكثر من أي مؤشر آخر، تُظهر الفرق بين حوزة قم اليوم وحوزة قم قبل نصف قرن.

وقد حُدّدت اليوم ستة عشر حقلاً معرفياً بوصفها المحاور الأساسية للتعليم التخصصي. وقد تبدو هذه التقسيمة، للوهلة الأولى، مجرد مجموعة من العناوين التعليمية، لكن مع قليل من التدقيق يتضح أن كل واحد من هذه الحقول يمثل إجابة عن جزء من احتياجات العالم المعاصر الفكرية والاجتماعية.

وعناوين الحقول المعرفية المذكورة هي:

١. حقل «القرآن» المعرفي
٢. حقل «الحديث» المعرفي
٣. حقل «الفقه والأصول» المعرفي
٤. حقل «الفقه والحقوق والقضاء الإسلامي» المعرفي
٥. حقل «الكلام والأديان والفرق والمذاهب» المعرفي
٦. حقل «المنطق والفلسفة والعرفان» المعرفي
٧. حقل «اللغة والأدب العربي» المعرفي
٨. حقل «الأخلاق والتربية والإرشاد» المعرفي
٩. حقل «التاريخ والسيرة» المعرفي
١٠. حقل «التبليغ والاتصال» المعرفي
١١. حقل «الثقافة والفن والحضارة الإسلامية» المعرفي
١٢. حقل «الاقتصاد الإسلامي» المعرفي
١٣. حقل «العلوم الاجتماعية» المعرفي
١٤. حقل «العلوم السياسية» المعرفي
١٥. حقل «علم النفس» المعرفي
١٦. حقل «الإدارة» المعرفي

صورة ينبغي تصحيحها

إن استعراض هذه التخصصات ليس مجرد قائمة تعليمية، بل هو صورة جديدة لحوزة قم. والواقع أن حوزة قم ما تزال معروفة بالفقه والأصول، وهما العمود الأساسي لهويتها العلمية. لكننا إن اعتبرنا هذين العلمين الصورة الوحيدة القائمة للحوزة، نكون قد أغفلنا جزءاً مهماً من واقعها اليوم.

فما حدث في القرن الماضي لم يكن إضافة بضعة تخصصات إلى المنهج الدراسي فحسب، بل كان نوعاً من توسيع آفاق التعليم الحوزوي. فحوزة قم، من دون أن تبتعد عن نواتها الاجتهادية، سعت إلى أن تضم في بنيتها الرسمية فروعاً جديدة من المعرفة الإسلامية أيضاً، وأن تحدد لكل واحد منها مساراً تعليمياً وبحثياً مستقلاً. وبعبارة أخرى، ما يزال الفقه عمود خيمة حوزة قم؛ لكنه ليس البناء كله.

قم؛ مدينة تحولت إلى قِبلة عالمية للمعرفة الدينية

لا يمكن فهم تحول الحوزة العلمية في قم من خلال المناهج الدراسية أو تنوع التخصصات وحدها. فأحياناً ينبغي قياس اتساع مؤسسة علمية من أبعادها الإنسانية والتنظيمية. واليوم تستضيف قم نحو مئة ألف طالب علم؛ طلاب قدموا، إضافة إلى جميع محافظات إيران، من قرابة مئة دولة حول العالم لدراسة العلوم الإسلامية في هذه المدينة. وإلى جانب هذا الحضور العلمي، ينشط في قم ما بين مئتين وثلاثمئة مركز تعليمي وبحثي؛ من المدارس العلمية والمؤسسات التخصصية إلى مراكز الأبحاث ومراكز الدراسات والمؤسسات التعليمية، يحمل كل منها جزءاً من عبء التعليم وإنتاج المعرفة الدينية.

وهذه الأرقام، بالطبع، ليست لبيان حجم مجموعة فحسب. فأهميتها الحقيقية تكمن في أنها تكشف عن المكانة الجديدة لقم في الجغرافيا العلمية لعالم التشيع. فقم اليوم ليست مجرد مدينة يُدرَّس فيها الفقه والأصول؛ بل تحولت إلى شبكة واسعة من التعليم والبحث وإنتاج الفكر وتأهيل الكوادر البشرية للمجتمعات الشيعية في مختلف بقاع العالم. فكثير من خريجي هذه الحوزة يعودون بعد انتهاء دراستهم إلى بلدانهم، ويعملون في الجامعات والمراكز الدينية والمؤسسات الثقافية والتعليمية. ومن هذا المنظور، لا يمكن تقييم تأثير حوزة قم ضمن الحدود الجغرافية الإيرانية فحسب.

التقليد والتحول؛ وجهان لعملة واحدة

ربما تكون أهم نقطة يمكن استخلاصها من استعراض قرن من تجربة حوزة قم، هي أن التحول لا يعني بالضرورة القطيعة مع التقليد. ففي الأدبيات العامة، يُتصوَّر أحياناً أن أي تغيير في البنى التعليمية للحوزة يعني الابتعاد عن أسلوب التعليم والتربية التقليدي. غير أن تجربة قم، على الأقل بحسب ما تُظهره وثائقها الرسمية، تطرح أمامنا رواية مختلفة.

ففي هذا النموذج، ما يزال الاجتهاد قمة التعليم الحوزوي، وما يزال درس الخارج المحور الأساسي للتربية العلمية، وما زال الفقه والأصول محتفظين بمكانتهما المحورية. وما تغيّر ليس هوية الحوزة، بل طريقة استجابتها للاحتياجات الجديدة. فالتخصص، وتطوير الدراسات البينية، وتنظيم التعليم، ليست محاولة لإحلال بديل عن التقليد، بل هي جهد لتمكين ذلك التقليد نفسه من مواجهة الأسئلة التي يطرحها العالم المعاصر أمام الفكر الديني. وربما يمكن القول إن حوزة قم، خلال القرن الماضي، لم تكن تسعى إلى تغيير وجهتها بقدر ما أعادت بناء أدوات الوصول إلى تلك الوجهة.

قم والنجف؛ تجربتان وإرث واحد

لا ينبغي تفسير هذا التحول على أنه تنافس بين الحوزات الشيعية الكبرى. فقم والنجف كلتاهما تقومان على أساس تقليد مشترك، محوره الاجتهاد والاستنباط وإنتاج المعرفة الدينية. والفارق هو أن كلاً منهما سلكت مساراً مختلفاً، بما يتناسب مع ظروفها التاريخية والاجتماعية والثقافية. فقم، إلى جانب الحفاظ على تقليد الاجتهاد العريق، اتجهت نحو إنشاء بنى تعليمية رسمية، وتوسيع التخصصات، وتطوير مراكز البحث. أما النجف فقد تابعت تجربتها وخصائصها الذاتية في الحفاظ على تقاليد التعليم الحوزوي.

ومعرفة هذه الفروق ضرورية، لا لغرض مقارنة تنافسية، بل لفهم القدرات المتنوعة لحوزات الشيعة. فكلما ازدادت المعرفة المتبادلة ببنى هذه المراكز العلمية، اتسع المجال أمام التعاون العلمي وتبادل الخبرات والحوار الفاعل بينها.

كلمة أخيرة

إذا كان بالإمكان قبل قرن وصف الحوزة العلمية في قم ببضع مدارس وحلقات درس قليلة ومجموعة من الأساتذة البارزين، فإن هذا التعريف لم يعد اليوم كافياً لبيان الواقع. فحوزة قم اليوم مؤسسة ذات بنية تعليمية واضحة، ومسارات دراسية محددة، وعشرات الحقول التخصصية، ومئات الاتجاهات العلمية، وشبكة واسعة من المراكز التعليمية والبحثية؛ مؤسسة تحاول، إلى جانب وفائها لتقليد الاجتهاد، أن تُعدّ نفسها أيضاً لمواجهة القضايا المعقدة للعالم اليوم. ولهذا، ربما يكون أدق وصف لحوزة قم هو أنها جسر بين التقليد والتجديد؛ مؤسسة لم تنقطع عن ماضيها، ولا تُعرّف مستقبلها بأدوات الماضي. وربما يكون أهم إنجاز لهذه التجربة، لا زيادة عدد التخصصات ولا توسع المراكز التعليمية، بل التغيير في النظرة إلى رسالة الحوزة؛ رسالة أصبحت اليوم، إلى جانب تخريج المجتهدين، تعدّ تأهيل باحثين متخصصين في مختلف فروع العلوم الإسلامية جزءاً من مهمتها أيضاً. وهذا هو التغيير عينه الذي يجعل من غير الممكن، مع بداية القرن الثاني من عمر الحوزة العلمية في قم، أن تُسمّى بعد الآن مجرد «حوزة فقهية»؛ لأن قم اليوم، إلى جانب كل ما كانته، تحولت أيضاً إلى واحدة من أهم مؤسسات تعليم العلوم الإسلامية والبحث فيها في العالم المعاصر.

شعر وقصيدة

في رثاء الإمام محمد الباقر ﷺ

قف بالبقيع وجنّة الأطهار
وَانْعَ المطهرَ باقرَ الأنوار

وتوَلِّه إنَّ الولاية منحة
لذوي العقول من العزيز الباري

شمس تكفلها الإله وصانها
عن ظلمة الأوهام والأوزار

ورث التقى من جده سبط الهدى
ذاك الحسين وشعلة الأحرار

بدمائه الإسلام أصبح شامخا
فوق الطباق السبع والأستار

بقر العلوم الباقيات كحيدر
ملأ الدنا علماً كضوء نهار

إن كنت تجهله فتلك معرة
هو حافظ الدنيا من الأخطار

لولاهم ساخ الوجود فهل ترى
شيئا يقوم بغير وجه الذاري

مشكاة بهجتها وموطن نورها
وبيان أمر الواحد الجبار

لكنما إبليس هيئ جنده
لقتال نسل المرسل المختار

فعدا هشام الجاهلية باعثا
بالسم إبهٍ عصبة الغدار

وإذا به نحو البقيع مسيره
جنبا بجنب مراقد الأخيارِ

وكأنها الزهراء نادت إبنها
أبُنيَّ دعها واسكننَّ جواري

فغداً نقوم إلى القضاء وبيننا
حكم الإله الواحد القهار

فهناك موطن من أراد قتالنا
جمعا بأسفل سافل في النار

نصيحة نفسية

التغافلُ استراتيجيّةٌ نفسيّةٌ ذكيّةٌ تحميك من استنزاف طاقتك في معارك لا طائل منها، عبر العفوِ عن الصغائرِ حِفظاً لسلامِك الداخلي.

مارِس المرونةَ في المواقفِ غيرِ المُضرّة؛ فالتنازلُ هنا ليس ضعفاً بل هو رُقيٌّ يجعلك تتسامى فوقَ صراعات "الأنا" الصغيرة.

تذكّر أنَّ الرابحَ الحقيقيَّ هو من يختارُ السلامَ والسكينةَ على الانتصارِ في نقاشاتٍ عابرةٍ، مما يمنحهُ تفوّقاً نفسيّاً وهدوءاً مستداماً.

نرحب بآراء القراء الأعزاء عبر البريد الالكتروني التالي
Alafagh1444@gmail.com